

وكان الجائزة الجزيلة والجنة العالية، قال الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمُ الْجَنَّةَ يُقْدِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[التوبة: ١١١]

ولقد عاشوا معاني التضحية في كل حركاتهم وسكناتهم، في سبيل الله، وبذلوا الجهد الجهد، والوقت الثمين، في سبيل الله:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

واختاروا السلاح على اللقاح، والجياد على الأولاد، ولم تشغلهم أعباء البيت عن الجهاد، ولم تشغلهم الأموال والأعمال عن الخروج في سبيل الله:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

الصحابة المثل في هذا الميدان يوم أُحد ، فرسموا أروع لوحات التضحية بالنفس ، وإليك هذه اللوحات :

وإليك هذه اللوحات :

عن أنس بن النضر:

فهذا أنس بن النضر - رضي الله عنه - لم يشهد بدرًا، فشق عليه، فأقسم قائلاً:

"لئن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله - ﷺ - ليرين الله ما أصنع"^(١).

فلما كانت أحد، حيث انهزم المسلمون، وأشيع مقتل النبي - ﷺ -، إذ بأنس - رضي الله عنه - يشق الصفوف شقًا، ويضرب الرؤوس ضربًا، ويفلق الهامات فلقًا، وهو يقول: "واها لريح الجنة! أجده دون أحد."، فثبت المسلمين، وقاتل المشركين حتى قُتل، فوجد في جسده بضع وثلاثون من طعنة ورمية ولكمة.

قالت أخته الربيع بنت النضر: فما عرفتُ أخى إلا ببنانه.

وفيهِ نزل قول الله تعالى:

"من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً"^(٢).

فضحى أنس، ومضى إلى ربه ..

عن مصعب بن عمير

أما مصعب ذلك الشاب الذي ترك نعيم الدنيا، وقد كان أنعم شابًا في قريش، وقد كان يضرب به المثل في جمال الملبس، وفخر الحلة، وزهو الطيب، فقاتل في أحد دون رسول الله - ﷺ - حتى قُتل وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله - ﷺ - فرجع إلى قريش فقال قتلت محمدًا. فلما قُتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله - ﷺ - اللواء علي بن أبي طالب، وبعد المعركة، لم يجد رسول الله - ﷺ - لمصعب ثوبًا يستره كاملاً يكفنه به^(٣).

عن عبد الرحمن بن عوف: قُتل مصعب بن عمير وهو خير منى، كُفن في بردة إن غُطي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدا رأسه.

عن فقال رسول الله - ﷺ -: "عَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِذْخِرَ"^(٤).

(١) ابن كثير (السيرة): ٦٢/٣.

(٢) ابن كثير (السيرة): ٦٢/٣.

(٣) ابن كثير (السيرة): ٧٣/٣.

(٤) أخرجه البخاري: ٣٧٧٣.

فضحي مصعب ومضى إلى ربه ..

✍ حمزة بن عبد المطلب

وهذا حمزة عم النبي ﷺ ، الذي طاماً وقف في وجه طغاة قريش، وهاجر، ونافح، وقاتل في بدر، فكان أسد الله، حتى إذا كانت أحد؛ فقاتل فقتل فكان سيد الشهداء، ولقد مثل بجثمانه المشركون تمثيلاً بشعاً، وخرج رسول الله ﷺ - يتفقد القتلى، ويلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده قد بقر بطنه عن كبده، ومثّل به فجُدع أنفه وأذناه وحزن رسول الله ﷺ - حزناً شديداً، وأرسل عليه العبرات الزفرات وقال :
"لَنْ أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا !!! مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ، أَعِظَ إِلَى مِنْ هَذَا !!!" (١٠).

لقد ضحى أسد الله ومضى إلى ربه ..

~~سعد بن الربيع~~

ويتفق رسول الله ﷺ - القتلى، ويفتقد سعد بن الربيع، فلا يحده، فيقول - :
 "مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ " ..
 فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا أَنْظُرُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فَعَلَ سَعْدُ ، فَنَظَرَ فَوَجَدَهُ
 جَرِيحًا فِي الْقَتْلِ وَبِهِ رَمَقٌ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ أَفِي
 الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ قَالَ : أَنَا فِي الْأَمْوَاتِ فَأَبْلِغْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنِّي
 السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ !
 وَأَبْلِغْ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُمْ : إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا عُدْرَ لَكُمْ عِنْدَ
 اللَّهِ إِنْ خَلَصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ - ﷺ - وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ !
 قَالَ : ثُمَّ لَمْ أَبْرَحْ حَتَّى مَاتَ (١) .

التضحية ضريبة الحضارات

هل سمعتَ بدعوة قامت لها قائمة دون توضحية ؟ وهل رأيت حضارة ظاهرة بغير توضحيات ؟ وهل خطر ببالك أن تبني مجداً لدينك دون أن تعلق الصبر؟

فلا قوام للدعوة الإسلامية بغير توضحية، ولا سبيل إلى رضوان الله وجنته دون توضيحة، قال الله تعالى :

(۱) ابن هشام ۲ / ۹۴ .

(۲) ابن هشام ۲ / ۹۴ .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

[البقرة: ٢١٤]

التضحية أو الضيق !

إن الذين لا يضحون من أجل الله، ولا يبذلون المال والجهد والوقت من أجل دعوته، وانغمسوا في الحرص الدنيء، والشره السافل، هم أناس حكم الله تعالى عليهم بالفسق.

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

ويقول النبي - ﷺ - :

" إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" (١)

قال صاحب الظلال : " إن هذه العقيدة لا تحتل لها في القلب شريكاً؛ فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها، وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة؛ ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة.. كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحركة والدافعة. فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة؛ على أن يكون مستعداً لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة" (٢).

التضحية أو الفسق! أن يُمكن للحق أو يسيطر الباطل، وبغير التضحية، يظهر اللص، ويقود الظلوم، ويسود الغشوم، أولئك الذين لا يتركون، حقاً ولا خلقاً،

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٠٣) وهو في السلسلة الصحيحة برقم ١١.

(٢) الظلال ٣/ ١٦١٥.

استنوّوا حتّى

أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي

بعد معركة أحد، بعدما اجتمع المشركون، وانفرط المسلمون، ونزل المشركون على المسلمين من كل مكان أفواجاً، يتتابعون عليهم نزاعاً أرسالاً، حتّى تناكب أمر المسلمين، واتسع خرقهم، وأعضلهم الفتق.. وأدرك المسلمون هول الفاجعة، وذاقوا مرارة الهزيمة، وعيانوا جثث الشهداء، وقد صُرع حمزة، ومصعب، وابن جحش، وابن الربيع وغيرهم من أكابر الصحابة، وشاهد المسلمون آثار المثلّة التي تمت بصورة بشعة في أجساد الشهداء، فقد بُقرت البطون، وجدعت الأنوف، وقُطعت الفروج والآذان. وقد اهترت قلوبهم لمشهد حمزة ذلك الأسد، الذي مثّل به أبشع تمثيل، وقد شق بطنه شقاً، وطُرح كبده على الأرض، وقد نُهش منه شيئاً. وتأثر النبي - ﷺ - تأثراً شديداً، وشق عليه ذلك الأمر، وامتلأ القلب حسرة، والعين عبرة، وأرسل عبراته زفرة بعد زفرة .

ألا .. أذن تصغى لهذه الآهات التي ذفرها النبي - ﷺ - من أجل هذه الأمة !
في هذا الجو المهيب، تتقطع قلوب المؤمنين أجذاذاً، وتزيغ القلوب الضعيفة عن جادة الإسلام، وتضل النفوس المرتابة وتشكك في صلاحية المنهج .

وقد تسائلوا، لم ؟

فكان الجواب : ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

واجتمعت على المسلمين الجراحات، وتواصلت بجراح أخرى غائرة من أيام مكة، وزُفرت الأنفاس متعثرة؛ ومتعثرة في زفرات أخرى؛ زفرات الحزن على أشلاء قد مزقها الحقد الأسود، وزفرات الأشواق إلى النصر والتمكين، وزفرات القرح الذي أصاب جسامهم .

وغرقوا في بحار من الهم؛ يدهش فيها الفكر ويحار، كأنها ألقت بهم طيارة في فيافٍ سحيقة، لا ماء فيها ولا زرع ولا ضرع، فباتوا نادمين سادمين حائرين بائرين !

(١) هذه مقالة كتبتها من قبل، ونشرتها باسم زوجتي الأستاذة آمال عاطف عبد العظيم .

هنا تنقش غمامة الحزن عن صوت النبي - ﷺ - ، يأمرهم أن يتراصوا صفوفاً،
ليقفوا للدعاء :

" اسْتَوْوا حَتَّى أَثْنِيَ عَلَى رَبِّي " فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفاً^(١)
يقول : " حتى تُثْنِيَ عَلَى رَبِّي " ..

إن الله سبحانه له الفضل الحسن والثناء الجميل، في السراء والضراء، في النعمة
والنقمة، في النصر والهزيمة، له الحمد على كل حال، له الحمد على النصر إذا نزل -
فللنصر فرحة، وحبرة، ولذة، ونشوة، فضلاً عن الرزق الحسن الذي فيه من غنيمة
وتمكين - ، وله سبحانه الحمد على الهزيمة - وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم - ،
فقد تكون في الهزيمة رحمة، لما فيه من تذكير وعبرة واتعاظ بخطورة المعصية. وقد
تكون هزيمة أخف من هزيمة، وفي ذلك رحمة أيضاً، وله الحمد سبحانه كذلك أن
حفظ نبيه - صلى الله عليه وسلم، وله الحمد أن دفع قلوب المشركين عن المدينة ، وله
الحمد أن الجيش لم يُباد عن بكرة أبيه، فهذه الانتكاسة التي أحدثها المسلمون كفيلة أن
تفني أي جيش وذلك حسب النظرية العسكرية في الحروب، ولكن الله سلم .
واصطف المسلمون خلف نبينهم، لِيُثْنِيَ على ربه، بعدما تفقهوا درساً بليغاً في
أسباب النصر والهزيمة، فماذا قال، وبماذا دعا ؟

" اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ
لِمَا أَضَلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا
مُقَرَّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ..."

أنت القابض . أنت الباسط.. تبسط الرزق لعبادك، وتوسعه عليهم بجودك،
وتبسط الأرواح في الأجساد، وتبسط النصر في ميادين القتال لمن تشاء، وأنت القابض،
لا شريك لك، لا تُسأل عما تفعل وهم يُسألون.
أنت الهادي . فنحن على ضلال إن لم تهدينا، ونحن على الهدى كل الهدى إن رضيت
عنا.

(١) أخرجه أحمد (١٥٨٩١)، وصححه الألباني في تحقيق فقه السيرة .

أنت المانع . لا نملك شيئاً إن لم تعطنا، ونملك كل شيء إن رضيت عنا .
لَا مُقَرَّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعَدَ لِمَا قَرَّبْتَ، فأنت رب الزمان والمكان تصرفهما كيف
تشاء، فكل بعيد؛ قريب لك دان . وكل مبهم، واضح لك ظاهر .

" اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ. " .
اعترفنا بقدرتك وضعفنا، وغناك وفقرنا، ونحن الأذلاء بين يديك، معترفين بذنوبنا،
فابسط علينا من بركاتك؛ فأنت الغني الكريم، ومن رَحْمَتِكَ؛ فأنت أرحم الراحمين،
وَمِنْ فَضْلِكَ؛ فأنت الصمد سيد المعطين، وَمِنْ رِزْقِكَ؛ فأنت الرزاق ذو القوة المتين .
ابسط علينا من بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ، فأعز دولتنا الناشئة، واحفظ
ديننا ومدينتنا وشعبنا .
إذا ما أنعمت علينا من بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ؛ فالكل مكرمٌ مُعَزٌّ .. لا غنى
لنا عنك، ولا غنى لدولتنا من فضلك .

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ؛ الَّذِي لَا يَحُولُ، وَلَا يَزُولُ. " .
فغايتنا رضاك، ومبتغانا الجنة، نسألك في ميدان جهادنا هذا؛ النعيم المقيم في
الفردوس الأعلى، ذلك النعيم الذي لا يحول أبداً، ولا يزول أبداً . فما جئنا نكابد
الوغي إلا ابتغاء رضاك والجنة .
ما جئنا إلى ساحات الغبار نقاتل عن نعمة أو عصبية، بل جئنا هاهنا من أجل غاية
سنية، جئنا نضرب روابي الطغاة، من أجل روابي الإنسانية، جئنا نكسر أجنحة الظلم،
من أجل أن يستظل الناس بأجنحة العدل . جئنا من أجل كلمتين؛ كلمة نضعها
وأخرى نرفعها، فالأولى كلمة الباطل والأخرى كلمة الحق؛ ولتكون دوماً "كَلِمَةُ
الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالْأَمْنِ يَوْمَ الْخَوْفِ. " .
فأنت ترى حالنا، بين غريب وفقير، مع ضعف العدة، وقلة الزاد، والكفر مجتمعٌ
على الإيذان . . .

فنسألك أيضاً من نعيم الدنيا، من الرخاء والأمن .

فعماد المجتمعات في المجال العمراني : الغنى والأمن، فإذا غابا من مجتمع زال على أثرهما النظام، وفسد بسببهما الناس، فلا أنجع من طريقة بث الفقر والرعب في تحطيم الشعوب وإفساد النفوس .

إن سياسية التجويع والتخويف هي وسيلة حربيةٌ قذرةٌ يمارسها أعداءُ الأمة في الداخل والخارج على الشعوب الإسلامية . وذلك لتذل وتخنع، وتضل وتخطع، وليحصل لها من القناعة الفكرية بعدم صلاحية الإسلام، وبحيث يجدون الغوث والمعونة دوماً من أناس لا يدينون دين الحق.

"اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِدُكَ مِنْ شَرِّ مَا أُعْطِيتُنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ " .

و قد ابتلينا بالهزيمة، وحُرمتنا النصر، فنعوذ بك من ذل الهزيمة، وعتو النصر ..
نعوذ بك انتكاسة المنهزمين، وغرور المنتصرين.

" اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ . " .

حبب إلينا الإيمان، اجعله شهوتنا واجعل فيه شرتنا، وزينه في قلوبنا، كما تُزين السماء المظلمة بالشموس النيرة.

فبين الحُب الإيماني الذي في النفس، والزينة الربانية التي في القلب؛ يعيش المسلم يرفل في ظلال الله، يسعد بلذة الإيمان وحلاوته، يرتع في جنة الرب التي سكبها في نفس المؤمن.

حينها يتحول الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ إلى أشباح مرعبة يفر منها المؤمن فراره من الأسد، أو تفر هي منه فلا مكان لها في قلوب حية بالإيمان، ذاكية بلهيب الشوق الذي لا يفارقها حتى تقر بالفردوس الأعلى .

وبين أوبة النفس إلى الإيمان ونفرتها من الكفر والفسوق والعصيان – تتحقق للإنسان صفة الرشاد، وينضم إلى زمرة الراشدين التي عزت في كثير من الأزمنة، تلك

الصفة التي كان أحد الأنبياء يهتف بها في قومه، يرثي قتلها فيهم، قائلاً: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]

"اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ".
فأحسن عاقبتنا وخاتمتنا، وتوفنا على المنهج، وأحيينا به، وألحقنا بإخواننا الذين ماتوا عليه، غير خزايا من ذنب أو كبوة، ولا مفتونين من كُرب أو فتنه.
أَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، اجعل الإسلام منهج حياتنا، ودستور نظامنا، اجعل صلاتنا ومحيانا ومماتنا لك وحدك لا شريك لك، اجعل الإسلام في نفوسنا وخارج نفوسنا، في بيوتنا وخارج بيوتنا، في بلادنا وخارج بلادنا، واجعله عاليًا قائمًا من فوقنا ومن تحتنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا، ومن بين أيدينا ومن خلفنا، اجعلنا نحيًا به، ونعمل له، ونموت في سبيله، ونُبعث في زمرة.
وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، فلا تفرق بيننا وبينهم في الدنيا ولا في الآخرة.

"...اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ؛ وَبَصِّدُون عَن سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رَجْزَكَ وَعَذَابَكَ.. اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ"^(١).
فقد جاءوا يحادونك، ويعادون رسولك، وقد عزموا على استئصال الإسلام واعتقال المسلمين. ولم يكفهم ما فعلوه بالمستضعفين من قبل، فلا يزالون يقاتلون المؤمنين حتى يردوهم عن دينهم، كما أخبر ربنا، سبحانه، أنت أصدق القائلين.
إنها الحقيقة القرآنية الخالدة التي قلت فيها - تباركت وتعاليت - :

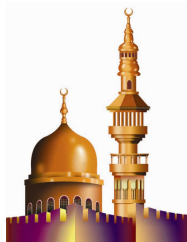
﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]
﴿أما أهل الكتاب الذين كذبوا محمدًا - ﷺ - وحاربوه فقد قلت فيهم - سبحانه - :
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]

(١) أخرجه أحمد (١٥٨٩١)، وصححه الألباني في تحقيق فقه السيرة.

لا غنى عنك في معركتنا مع الباطل، فأعنا وأيدنا على أئمة الباطل .
وأنت أعلم بدخائلهم منا، وقد علمت ما فعل الوثنيون في مكة من قتل وتحريق
وتهجير في ضعفاء المسلمين، وعلمت ما فعلته يهود في المدينة، من غدر وخيانة، ودعم
للوثنية، وإفساد في الأرض، فضلاً عن محاولة قتل خير البرية .

وأتم الدعاء ..
وطابت النفوس ..
"ثم ركب فرسه ورجع إلى المدينة".....

- ١- احرص على : الدعاء وقت الشدة . والشكر بعد
المحنة . وثبيت المؤمنين عند الغمة.
- ٢- الدعاء بمثل هذا الدعاء في ثنايا ركعتين في جوف
الليل .



✍ يوم الرجيع وبئر معونة :

العامان الثالث والرابع كانا أشبه - إلى حد ما -

بعام الحزن في المرحلة المكية؛ غير أن الحزن الذي كان

في هذين العامين طال جميع المسلمين؛ فلم يخل بيت من قتل

أو جريح عقب مأساة أحد؛ ومما زاد الحزن حزناً، أن حدثت

مآسي أخرى كانت في ذيل أحد !

فبعد معركة أحد؛ تجرأ العربُ على المسلمين بشكل مريع، ولا أدل من ذلك من

حادثتي " الرجيع " و " بئر معونة " في شهر صفر سنة ٤هـ، فقد قتل الأعرابُ

الأجلاف نحو ثمانين من الصحابة القراء وهم في طريقهم لممارسة شعيرة الدعوة إلى الله

في بعض القبائل. ولم يتمكن النبي ﷺ - من تأديب هؤلاء الأعراب الذين غدروا

بالصحابة إلا بعد فترة.

ولم يزل المسلمون في المدينة المنورة؛ يتناقلون مشاهد البطولة التي سطرها القراء

بدمائهم؛ وكيف قال "خبيب بن عدي" لجموع الغادرين : أنه يجب أن يُقتل ولا أن

يشاك محمدٌ بشوكة في قدمه، وكيف حفظ الله جثمان "عاصم بن ثابت" بالنحل؛ فلم

يستطع أحدٌ من الغادرين أن يظفر بجثمانه لينال المكافأة التي فرضتها بعض عائلات

قريش لمن يأتي برأس عاصم الذي قتل صنديداً من صناديد الشرك يوم بدر.

وفي حادثة بئر معونة؛ عندما ذهب الصحابي الجليل حرام بن ملحان برسالة النبي -

ﷺ - إلى عدو الله " عامر بن الطفيل "؛ فلما وقف حرام بن ملحان بين يدي هذا الغادر

لم ينظر في رسالة النبي ﷺ ؛ وأمر رجلاً فطعن حرام بن ملحان بالحربة من الخلف،

فلما نفذت فيه ورأى الدم، قال حرام : الله أكبر ! فزت ورب الكعبة!

ثم استنفر الطاغية بعض القبائل المتوحشة؛ فأجابه رعل وزكوان وعصية ومالوا

على الدعاة ميلاً واحدة فقتلوهم جميعاً؛ ولم ينج من هذه المجزرة سوى عمرو بن أمية

الضمري؛ فقد نجا بأعجوبة، وفي طريقه للعودة إلى المدينة؛ نزل في ظل شجرة؛ إذ جاء

رجلان من بني كلاب فنزلا معه، فلما ناما فترك بهما عمرو، وهو يظن أنه أصاب ثأراً

إجلال بني التضير
ربيع الأول ٤هـ -
أغسطس ٦٢٥ م

﴿ مصارحة ﴾ :

فَقَالَ لَهُمْ سَلَامٌ بَيْنُكُمْ : لَا تَفْعَلُوا ! فَوَاللَّهِ لَيُخْبَرَنَّ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ .. يَا قَوْمِ أَطِيعُونِي
هذه المرة وخالفوني الدهر، والله لئن فعلتم ليخبرن بأنا قد غدرنا به، وإن هذا نقض
للعهد الذي بيننا وبينه، فلا تفعلوا !

لكن غلبت شياطينهم عقلاءهم ، فَصَعِدَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشٍ - لعنه الله - لِيُلْقِيَ
الصَّخْرَةَ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - (١) .

ورغم أن الغدر ليس من شيم الحلفاء الشرفاء إلا أن اليهود درجوا على نقض
العهود وأدمنوا الخيانة والخسة حتى مع أبناء وطنهم وحلفائهم ..
ومواقف التاريخ تؤكد في كل مرة أنهم أهل غدر وخيانة ..

وصدق الله إذ يقول فيهم : ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَنْقُوتُ﴾ [الأنفال: ٥٦] .

﴿ اكتشاف المؤامرة ﴾

فلما هم القوم بالغدر، وقد أشرف "ابن جحاش" بالصخرة، وقد أوشك أن يلقيها
على رأس النبي - ﷺ - ، إذ بالوحي يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فيخبره بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ
فوراً - كأنه يريد حاجة - وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ (٢) .

فبينما اليهود على ذلك - ينتظرون أن يعود النبي - ﷺ - إلى مكانه بعد أن يقضي
حاجته لينفذوا جريمتهم الشنعاء - وقد دأبوا - عليهم لعائن الله - على سفك دماء
الأنبياء والمرسلين - إذ جاءَ جاءَ من اليهود من المدينة، فلما رأى إخوانه من اليهود
يتآمرون على قتل النبي - ﷺ - قال لهم: ما تريدون ؟ قالوا: نريد أن نقتل محمداً ونأخذ
أصحابه، فقال لهم: وأين محمد ؟ قالوا: هذا محمد قريب، فقال لهم صاحبهم: والله لقد
تركت محمداً داخل المدينة، فسقط في أيديهم (٣) .

وأيقنوا أن النبي أخبر بما هموا به .. !

(١) انظر: زاد المعاد ٣ / ١١٥ .

(٢) ابن هشام ٢ / ١٨٩ .

(٣) الصالحى ٤ / ٣١٨ .

(٤) الحلبي ٢ / ٣٨٧ .

نسلمكم، إن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم . [ابن هشام ٢ / ١٩١].

وقال : لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم، وتنصركم قريظة، وحلفاؤكم من غطفان، وطمع رئيسهم حي بن أخطب فيما قال له ابن سلول، وبعث إلى رسول الله - ﷺ - يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك [ابن القيم : زاد المعاد ٣ / ١١٥].

وفي هذه الشراكتة التي كانت بين النفاق واليهودية قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١]

وقال مبينا هشاشة هذا التحالف : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصْرُونَ ﴾ [الحشر: ١٢]

عاقبة الغدر :
ولما جاء إلى النبي خبر رفض اليهود مغادرة المدينة .. قال : " الله أكبر !!"، فقال أصحابه : الله أكبر [ابن القيم : زاد المعاد ٣ / ١١٥]
وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِالتَّهْيِئَةِ لِحَرْبِهِمُ وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ. وَأَمَرَ أَبَا لُبَابَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الصَّلَاةِ [ابن القيم : زاد المعاد ٥ / ٦٣].
ثم سار بالجيش الإسلامي، وحملت مع رسول الله - ﷺ - قبة من خشب، عليها مسوح أرسل بها سعد بن عبادة رضي الله عنه [الصالحى - ٤ / ٣٢٢].

وعلي بن أبي طالب يحمل اللواء، حتى نزل الجيش الإسلامي بهم، ووصل رسول الله - ﷺ - إلى أرض العدو، وصلى بجنوده العصر بفناء العدو [الحلبى ٢ / ٣٨٧].
ولما جاء وقت العشاء رجع رسول الله - ﷺ - إلى بيته في عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على فرس، واستعمل على العسكر علي بن أبي طالب^(١)، وبات المسلمون

(١) ويقال أبا بكر .

❦ إسلام يامين بن عمير، وأبو سعد بن وهب :

وخلال فترة الحصار، أسلم من بني النضير رجلان يامين بن عمير، وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاهما [ابن هشام ٢ / ١٩٢].

قال أحدهما لصاحبه: والله إنك لتعلم أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما تنتظر أن نسلم فنأمن على دماننا وأموالنا، فنزلا من الليل وأسلما فأحرزا أموالهما.

ثم قال رسول الله - ﷺ -: «لِيَامِينَ: "أَلَمْ تَرَ مَا لَقِيتُ مِنْ ابْنِ عَمِّكَ، وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ شَأْنِي؟". فَجَعَلَ يَامِينُ بْنُ عُمَيْرٍ لِرَجُلٍ جُعَلًا - وهو عشرة دنائير - عَلَى أَنْ يَقْتُلَ لَهُ عَمْرُو بْنُ جِحَاشٍ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَلْقِيَ الْحَجَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَتَلَهُ غِيلَةً فَسَرَّ بِذَلِكَ النَّبِيُّ [ابن هشام - ٢ / ١٩٢]

وهو مشهد قلما نراه في الحروب، أن ينتقل بعض الجنود من خصم إلى خصم . إن حالة من التأثر ويقظة الضمير غيرت من توجه هذين الجنديين (يامين وابن وهب) - من هول قيامهم بمقاتلة رسول من رسل الله ..

❦ الاستسلام :

ولا زال عبدالله بن أبي ابن سلول يبعث لبني النضير أن اثبتوا وتمنعوا، فإنكم إن قوتلتهم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم، فانتظروا ذلك، ولم يحصل لهم منه شيء، وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صوريا يقولان لحبي : أين نصر ابن أبي الذي زعمت؟ فيقول حيي: ما أصنع، هي ملحمة كتبت علينا [الحلي ٢ / ٣٨٧].

وانتظر يهود النضير - طيلة فترة الحصار -، النصر والمدد الذي وعدهم إياه ابن سلول، ومنتهم به قريظة هي الأخرى، وكذلك غطفان، فقد دب الرعب في قلوب الخائنين، فاعتزكتهم قريظة وخائهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، ولهذا شبه سبحانه وتعالى قصتهم وجعل مثلهم " كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ " [ابن القيم : زاد المعاد ٣ / ١١٥]

ولما اشتد الحصار على اليهود - وهم أهل جبن وخور - وقد قذف الله في قلوبهم الرعب، أرسلوا إلى النبي - ﷺ - : نَحْنُ نَخْرُجُ عَنِ الْمَدِينَةِ.. فَأَنْزَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا عَنْهَا بِنُفُوسِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ وَأَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ الْإِبِلُ إِلَّا السِّلَاحَ وَقَبْضَ النَّبِيِّ - ﷺ -

﴿ قَالَ مَالِكُ : حَمَسَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - قُرَيْظَةَ ، وَلَمْ يَحْمَسْ بَنِي النَّضِيرِ . لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُوجِفُوا بِخِيْلِهِمْ وَلَا رِكَابِهِمْ عَلَى بَنِي النَّضِيرِ كَمَا أَوْجَفُوا عَلَى قُرَيْظَةَ وَأَجْلَاهُمْ إِلَى خَيْبَرَ ﴾ [ابن القيم : زاد المعاد - ٣ / ١١٥].

ولما عزم اليهود على ترك المدينة، صاروا ينقضون العمود والسقوف، ويتزعجون الخشب حتى الأوتاد، وينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسداً وبغضاً [الحلبي ٢ / ٣٨٧].

فجعلوا يمرّون قطارا في أثر قطار، وقد تحملوا على ستمائة بعير [الصاحي ٤ / ٣٢٤].

ونادى أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، ورفع مسك جمل^(١) وقال: هذا مما نعهده لخفض الأرض ورفعها، فإن تكن النخل قد تركناها فإننا نقدم على نخل بخير [الصالحى ٤ / ٣٢٤].

والحق، أنهم يحسنون دومًا مثل هذه الأدوار الدعائية؛ وهم سادة الإعلام في كثير من الأصقاع .

إذ لعل هذه الهيئة التي خرجوا بها تحرز لهم شيئًا معنويًا في أوساطهم، وشيئًا دعائية في غيرهم .

فَكَانَ أَشْرَافُهُمْ مَنْ سَارَ مِنْهُمْ إِلَى خَيْبَرَ : سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ وَكِثَانَةُ بْنُ الرَّيِّعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَحَيَّيْ بْنُ أَخْطَبَ . فَلَمَّا نَزَلُوهَا دَانَ هُمْ أَهْلُهَا .

والباقون ساروا إلى الشام: إلى أذرعات [الحلي ٢ / ٣٨٧]

وقد حزن المنافقون على رحيل إخوانهم اليهود، علمًا أن أهل النفاق هم أهل بلبله وإرباك لا يفلحون إلا في الكلام، وهم أولى بالناس بالظاهرة الكلامية التي تحدث في المجتمعات؛ فلعلك ترى مجتمعًا الكل فيه يعمل وينتج؛ إلا فصيل واحد يتكلم ويتكلم، وهو فصيل النفاق.

لقد استخدم النبي - ﷺ - أسلوب الحصار للضغط على اليهود من أجل الخروج، ولم يستخدم فيهم أسلوب سفك الدماء، وإن كانوا قد شرعوا جميعًا في جريمة اغتيال النبي - ﷺ -، وهي جريمة في نظر جميع القوانين الوضعية لا عقاب لها سوى الإعدام، ولو تواطىء الآلاف في هذا الشروع الذي لم يفض إلى قتل رئيس الدولة .

لذا نحن نعتبر أن ما فعله النبي - ﷺ - مع يهود النضير مثال رائع ساطع في رحمة الحاكم المسلم بجماعة من جماعات أهل الذمة التي خرجت على القانون .

ثم أرني حاكمًا واحدًا من حكام زماننا عفا عن فصيل شرع في قتله !

تعميق الايثاريين جند الله :

أما عن الأموال التي خلفتها النضير؛ فلم يستول عليها النبي - ﷺ - وقد أفاء الله بها عليه .

بل نحن لم نر أثرًا واحدًا دل على امتلاك رسول الله - ﷺ - لخزينة مالية خاصة به، وقد كان زعماء العرب والعجم يمتلكون من الخزائن الخاصة ما تغنى به الشعراء .

فكان الرسول أكرم من الأنصار . فَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللَّهِ الْمُهَاجِرِينَ ، عَلَى أَلَا يَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِ إِخْوَانِهِمْ بَعْدَ هَذَا الْفِيءِ ، فَاسْتَعْنَوْا بِهَا أَخْذُوا وَاسْتَعْنَى الْأَنْصَارُ بِمَا رَجَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ ثَمَارِهِمْ [ابن القيم : زاد المعاد ٥ / ٦٣] .

فقال أبو بكر رضي الله عنه - وقد هزه كرم الأنصار وإيثارهم - : " جزاكم الله يا معشر الانصار خيراً " وجادت قريحته بشيء من الشعر يمدح فيه الأنصار [الصالحى ٤ / ٣٢٥] .

🏆 جائزة تكريمية :

وأعطى النبي ﷺ - سعد بن معاذ - رضي الله عنه - سيفَ بن أبي الحقيق ، وكان سيفاً له ذكر عند اليهود . وإنما مُنح سعد - رضوان الله عليه - هذا السيف على سبيل الجائزة والتكريم ، فقد كان يطعم الجيش الإسلامي في غزو النضير ، وهو صاحب القبة الخشبية ، التي جُعِلَتْ مقراً متحرّكاً لرصد تحركات العدو .

- ١- مدارس سورة الحشر .
- ٢- مطالعة أحكام الفية في كتب الفقه .



(١) هذا على خلاف بين أهل السير، فبعضهم قال دخل بها وهي بنت ثلاثين، الراجح عندنا ما أثبتناه.
(٢) انظر: الروض الأنف (٤ / ٤٢٨)، والأصح عندي أنها كانت لابن جحش، واحتمال أنها تزوجت منهم جميعاً - واحدًا بعد الآخر - لا يصح بحال.
(٣) مسلم: ٤٤٩٠.

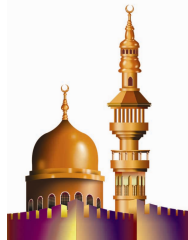
وهذا ينطبق أيضًا على زينب بنت جحش، فهي أول من ماتت بعد رسول الله ﷺ - وكانت تنفق وتتصدق كثيرًا .

ماتت - رضي الله عنها - بعد زواجها من النبي ﷺ - بنحو ثلاثة أشهر في ربيع الآخر سنة ٤ هـ، فكانت أول نسائه موتًا، ولم يصب رسول الله ﷺ - منها ولدًا .
وصلى عليها النبي ﷺ -، ودفنت بالبقيع ^(١) .

هذا، ولم تذكر المصادر التي ترجمت لهذه المرأة العظيمة شيئًا كثيرًا، سوى ما عُرف عنها في الجاهلية والإسلام من حبها للمساكين، وإنفاقها عليهم، وهذا لعمرو الله خير ما يؤثر عن الإنسان، فالصدقة الخالصة المتجردة لها حُسن الذكر في الدنيا وعظيم الزخر في الآخرة.

- ١ - مشروع سيدة البر .
- ٢ - يا حبذا صناعة مثل هذه الرموز الخيرية في كل مكان، فنحن نريد رجل البر، ونريد - كذلك - الأخت المسلمة -
الرمز النسائي الخيري - التي تصل أياديها البيضاء على القاعد والقائم .

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]



(١) انظر: السيرة الحلبية، ٢ / ٤٨٣ .

غزوة

ذات الرقاع

كانت هذه الغزوة في إطار حملة النبي - ﷺ - لمعالجة آثار مأساة أحد، إذ طمعت القبائل الممجيّة في المسلمين؛ وظنوا أن شوكة المسلمين كُسرت بعد أحد، ومما زاد الطينة بلة أن عدى الأعراب على جماعتين من الدعاة إلى الله كانوا في طريقهم لدعوة بعض القبائل إلى الإسلام؛ فكانت مأساة يوم الرجيع ومذبحة بئر معونة؛ فقتل العرب في شهر واحد نحو ثمانين صاحبياً، ومن ثم كانت محصلة قتل المسلمين في أحد والرجيع وبئر معونة زهاء مائة.

وبعدما فرغ النبي - ﷺ - من تأديب يهود النضير؛ أي بعد شهر ونصف من إجلاء بني النضير؛ توجه النبي - ﷺ - بجيشه نحو هذه القبائل الغادرة، (قبائل محارب وبني ثعلبة)، الذين فتكوا بالصحابة القراء الأبرياء.

واستعمل النبي - ﷺ - على المدينة أبا ذر الغفاري - رضي الله عنه - ! وذلك من عجائب التربية النبوية؛ أن أمر النبي على المدينة المنورة رجلاً من غير الأوس والخزرج، بل هو في عرف الجاهلية يتنسب إلى قبيلة من الأعراب ممن عُرف عنهم قطع الطريق . وهو بذلك - صلوات الله وسلامه عليه - إنما يريد أن يطبق قوله : " وَلَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا " [مسلم : ٣٤٢١].

هكذا القيادة أو الإمامة أو الإمارة؛ لا معنى فيها للعرق، ولا قيمة فيها للأصل، ولا قيمة فيها للون، فحسب القائد: العلم والجسم اللذان يُعينانه على القيادة بكتاب الله، وأيما عبدٌ مُجَدِّعٌ قَدْر على إقامة كتاب الله؛ فهو أحق بالإمامة من شريف حسيبٍ قرشيٍّ لم تكتمل فيه شروط الإمامة.

ذلك درسٌ هؤلاء الطغام اللئام الذين احتكروا الوظائف والمناصب لحسابهم ولأحسابهم، الذين أضاعوا الأمانة عندما وسدوا الأمر لغير أهله، ممن هم في عداد السفهاء، وترى الواحد منهم يتمرغ في النعيم والأبهة وهو لا يكاد يفقه شيئاً عن عمله الذي أنيط به ظلمًا؛ ومع ذلك كله تراه يتكلم في أمور العامة كالروبيضة، فاكتمى ما ليس من أثوابه، واحتسى ما ليس من أكوابه.

والله يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ ﴾

إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿ [النساء: ٥٨]

سلاح الرعب

سار النبي - ﷺ - في سبعمائة مقاتل، فلما وصل إلى ديار هذه القبائل، دب الرعب في أرض الظالمين، وخافوا وهربوا إلى رؤوس الجبال، تاركين نساءهم وأموالهم، هلعاً وفزعاً، وهكذا الجبن أخو العار، كما الغدر أخو الشنار .

وهكذا، انتصر المسلمون بالرعب .

وصدق رسول الله - ﷺ - : " نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ " [البخاري : ٣٢٣].

صلاة الخوف

وعسكر النبي - ﷺ - في ديارهم، ليؤكد النصر، وليبث الرعب، ولما كان العدو بالجلال؛ شرع الله تعالى حينئذ صلاة الخوف لضرورة القتال، حيث يصلي المسلمون الفرائض الخمسة في أوقاتهم بصورة أشبه بصلاة القصر؛ غير أن فئة تحرس، وفئة تصل، فالإمام يصلي بطائفة ركعتين فإذا هم بالوقف للركعة الثالثة تأخروا ودخل الآخرون لتكون الركعة الثالثة للإمام هي ركعتهم الأولى، وفي ذلك نزلت الآية :

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ۚ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۚ وَالدَّيْنِ كَفَرُوا لَوْ تَعَفَّلْتُمْ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢]

يدل هذا على أهمية الركن الثاني من أركان الإسلام، الصلاة، فلما كان ثمة تهاون لرفعها الله عن كاهل المجاهد الذي يقاتل عن بيضة الدين، وثغر الوطن .

المشهد الأول : تجلد وتجرد

وفيه يقول أبو موسى :

"حَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - فِي غَزْوَةٍ، وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْقِبُهُ، فَتَقَبَّتْ أَفْدَامُنَا، وَتَقَبَّتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ؛ فَسُمِّتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ، لِأَنَّكَ نَعَصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا .. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى هَذَا ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بَأَنِّ أَذْكُرُهُ! كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ!" [البخاري: ٣٨١٦].

وهو كما ترى مشهدٌ باسق في التجلد، سامقٌ في التجرد، وهاتان الصفتان برزت في الصحابة - رضوان الله عليهم جميعاً - بجلاء؛ فقد بلغ بهم الجهدُ وطولُ السفرِ مبلغاً صعباً؛ فساروا مسافاتٍ طوالاً؛ على قلة المركب، فقد كان الستة يتعاقبون الظَّهْرَ الواحدة، وهذا معناه أن الواحدَ منهم - رضوان الله عليهم - يمشي خمسةَ ساعاتٍ كواملٍ ويركب ساعةً واحدةً فقط، ولا زالوا على هذه الحال حتى فسدتْ نعالهم، ونَقِبَتْ أقدامهم، وسقطتْ أظافرهم، فطفقوا يخصفون عليها من رِقَاعِ الخِرْق، ولسانُ حالِ أحدهم: أُمِّي، الموتُ في سبيلِ الله! أيتها الدنيا أنتِ طالقٌ - طلاقاً لا رجعة فيه - !
اللهم تقبل مني نفسي في رضاك !!

وبعد أن قص أبو موسى هذه القصة، نَدِمَ ، وَكَرِهَ أَنْ يَقْصَّ عَنْ نَفْسِهِ، تَوَرَّعًا وَزَهْدًا، وَخَشْيَةً مِنْ ضِيَاعِ الثَّوَابِ، وَقَالَ - فِي تَحْسُرٍ -: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أذْكَرُهُ ! كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْسَاهُ !

شأنه شأن المخلصين الذين عرفهم من فلتات ألسنتهم.

تري كثيرًا منهم؛ يبالغون في إخفاء أعمالهم وجهادهم؛ حتى إذا خرجت مثل كلمة أبي موسى هذه؛ يتحسر المخلص حينئذ تحسر المؤمن إذا واقع ذنبًا.

هؤلاء هم الأتقياء الأخفاء، يعملون لله، ويجاهدون في سبيل الله، لا ليرى مكائهم في الصفوف، أو ليدكرهم الناس بالمدائح التي تؤدي إلى الحتوف.
هؤلاء هم المجاهدون حقاً. ثم إن الداهية الدهياء، والمصيبة الرعناء؛ أن يجاهد المجاهدون فيسرق ثمرتهم القاعدون !

المشهد الثاني : حراسة الثغور

وفي ليلة من ليالي الرعب هذه، سبى بعض المسلمين امرأةً مشرقةً؛ فحلف زوجها أن يهريق في المسلمين دمًا، فخرج يتبع أثر الجيش الإسلامي، حتى نزل الجيش منزلاً، وكانت الحراسة ليلتذ من نصيب عمار بن ياسر - من المهاجرين - وعبد بن بشر - من الأنصار -، وقد خرجا إلى فم المعسكر أول الليل، فقال عباد لعمار: أي الليل تحب أن أكفيكه: أوله أم آخره؟ قال: بل أكفني أوله [انظر: ابن هشام ٢ / ٢٠٧]

ومن ثم نام عمار، وقام عباد - رضي الله عنه - يحرس ويصلي في آن واحد، فكانت هذه فرصة المشرك، فرمى بسهم فأصاب عباداً في جنبه، فنزعه وكأنها هي شوكة تافهة، ولم يخرج من صلاته، وواصل قيامه !
ثم رماه المشرك بسهم آخر، فنزعه عباداً، وألقاه على الأرض، وثبت قائماً، وواصل قيامه !

ثم عاد له المشرك بالسهم الثالث، فرماه، فأصاب عباداً! فلم يخرج عباداً من صلاته، بل نزعه وركع وسجد، ثم أيقظ عماراً.

فقال عمار: سبحان الله! أفلا أهبتني أول ما رماك؟
قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع علي الرمي ركعت فأذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع نغراً أمرني رسول الله - ﷺ - بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها! [انظر: ابن هشام ٢ / ٢٠٧].

أغلب الظن أن هذه الصحابي وصل إلى درجة من الخشوع والاستمتاع بالقيام وبتلاوة القرآن مبلغاً جعله لا يبالي بتلك (الوخزات) التي كان يشعر بها في قيامه.
بل كنا نقرأ الرعب في قلب الرامي نفسه؛ شديداً، شدة هذا الخشوع الذي عايشه عباداً - رضي الله عنه - .

وهذا الموقف فيه إشارة لطيفة، أنهم - رضوان الله عليهم - أحرصُّ الناس على الوقت؛ فلم يكتفِ عبادةً بالحراسة بل جمع لها "القيام"، استثماراً للوقت، رغم ما بهم من ضنك وعوز، وقد علمت سبب اسم الغزوة.

المشهد الثالث : شجاعة وثقة :

فَمِنْهَا نَوْمَةٌ ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي ، وَأَنَا نَائِمٌ ، فَاسْتَيْقَظْتُ ، وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا ، فَقَالَ لِي : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللَّهُ ! [فسقط السيفُ من يده] فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ! " ، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - [البخاري : ٣٨٢٢] .

ثم أنت ترى مدى هذه الثقة العجيبة التي ظهرت في ردة فعل رسول الله - ﷺ - في هذا الموقف الخطير، حينما فتح عيناه، وإذا بسيفه في يد عدوه، وقد شد الأعرابي عليه بالسيف صلتاً، فما أسهلها من قتلة !

أنت رأيت لقطةً طبيعية لتلك النفس الزكية، فلو كانت نفسُ ملكٍ من ملوك الدنيا، أو قائدٍ من قادة الباطل - لظهرت ملامحُ أخرى، هي ملامحُ الخوفِ والهلع والجزع .

إن كلمة (الله) التي خرجت من فم رسول الله - ﷺ - هي بألف ألف كلمة (الله) خرجت من فم غيره؛ فتلك التي خرجت من فم النبي - ﷺ - إنما خرجت من سويداء قلب خاشع عظيم؛ يقدر قدر (الله)، يثق في الله، مطمئن به، يعلم جيداً أن الله لن يخذل الدعوة وإن قُتل الداعية، وما له لا يعبأ بمصرعه، وقد كتب الله النصر لدينه .

فليت كلمة (الله) تنطق بها القلوب قبل أن تنطق بها الألسنة !
وليت المسلم يرقد - كما رقد النبي - على ثقة في الله، ويستفيق على ثقة في الله، كما استفاق عليها النبي - ﷺ -، وقد امتلأ قلبه العظيم بفيض عارم من الإكبار والإعظام لجنا ب الله، والعوراف الجسام لسنن الله !

وعفا النبي - ﷺ - عن هذا الأعراي . فخلق العفو، سجية طبيعية في تلك النفس الزكية .. ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ..

هذا السيف الذي سقط من يد الأعراي، هو سيفٌ جديرٌ أن يمزق جميع كتابات المستشرقين الذي افتروا فرية أن الإسلام انتشر بحد السيف !

المشهد الرابع : تفقد الإخوان :

وفي طريق العودة - أيضاً -، نظر النبي - ﷺ - في جيشه فلم ير جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -، وقد كانت سنة النبي - ﷺ - أن يتفقد أصحابه دومًا في المنشط والمكره . وجابر - رضي الله عنه - أهلٌ لهذه العناية في هذه الأيام بالذات؛ فقد قُتل أبوه في معركة "أُحُد"، وهو سيدٌ من سادات الأنصار، وقد خَلَف وراءه تبعةٌ ثقيلةٌ تَحْمِلُها ابنه الأكبرُ هذا وحده، وترك الأبُّ لولده مهمةَ رعاية البنات اليتيم، وقد بلغ عددهن سبعا، على فقر وشظف، وكان أجدر بغير جابر أن يتخلف عن مثل هذه الغزوة، متعللاً بهذه المسؤولية الأسرية الصعبة، ولو تخلف مثل جابر لكان له في ذلك ألف عذر .

ولكنها أسرة مسلمة مجاهدة، وربها مجاهدٌ ابن مجاهد، ومن يشابه أباه فما ظلم .
لقد رق النبي - ﷺ - وهو صاحبُ القلبِ الرؤوف - لحال جابر وآل جابر وبيت جابر، فيبدو أن رسول الله - ﷺ - كان يلحظه بعين رحمته الشفيقة بين الفينة والأخرى، كما ينظر أحدنا لولده شفقةً من حينٍ إلى آخر؛ حتى لم يجده مرةً في صفوف الجيش، وقد

جعل الجيش يمضي وجابرٌ يتأخرُ به جملة العليل .. ويكأنَّ العلةَ قد أصابت جابرًا في كل بيته حتى جملة !

فإذا النبي ﷺ - يُدرك ذلك، فيؤخرُ جملة ليلحق بجابر في آخر الجيش، فأدركه، وعلم ما حل بجملة من علة، فقال النبي ﷺ - :

"أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ" !

قال جابر: فَنَحَسَهُ بِهَا نَحْسَاتٍ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " اَرْكَبْ "، فَرَكِبْتُ فَخَرَجَ،
وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ يَؤَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً !

ثم دار هذا الحديث الرقيق الرفيق، الذي يعبر عن نفس زكية عظيمة كانت بين جنبي محمد -ﷺ-، تبين لك كيف كان حرصه على المؤمنين، وكيف كان يتذرع الذرائع من أجل أن يخدمهم، ويصنع الصنائع من أجل أن يكرمهم :

قال رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " أَتَبِيعُنِي جَمَلَكَ هَذَا يَا جَابِرُ ؟ "

قال جابر: يَا رَسُولَ اللَّهِ! بَلْ أَهْبَهُ لَكَ!

✍ قَالَ: " لَا وَلَكِنْ بَعْنِيهِ "

❦ قال جابر: فَسُمِّنِي بِهِ !

قَالَ: " قَدْ قُلْتُ أَخَذْتَهُ بِدِرْهَمٍ !! "

❖ قَالَ : لَا إِذَا يَغْبِنُنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ !!

✍ قَالَ : "فَبَدِرُ هَمَيْنِ"

❏ قَالَ جَابِرٌ: لَا

ولم يزل هذا الحديث الفكه هكذا، ورسول الله ﷺ - يرفع له في سعر الجمل حتى
بَلَغَ الْأَوْقِيَّةَ . فَقَالَ جَابِرُ : فَقَدْ رَضِيتُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: - "قَدْ رَضِيتَ؟"

~~قال: نعم .. هو لك~~

✍ قال: "قَدْ أَخَذْتَهُ"

ثم انتقل الحوار الكريمُ إلى مجال آخر، وقد تحدث النبي إلى جابر كما يتحدثُ أحدنا إلى أخيه أو صديقه، حديث الرجل للرجل، مع ظرف و طرف و لطف :

نفسٌ عظيمة؛ وسعت المؤمنين رحمةً، وصدق الله العظيم: ﴿حَرِصْ عَلَىكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

هكذا كانت هذه الغزوة، مترعةً بدروس جليلة، دروسٌ في الشجاعة والبسالة،
والتجرد والتجلد، في أهمية الصلاة، وفي ضرورة استشعار المسلم لخطرهما، في فضل
حراسة الثغور، وقيام الليل والخشوع، في فضل تفقد الإخوان، والمشاركة في إصلاح
معايشهم، وإزالة كرباتهم، مواساتهم في محنهم .

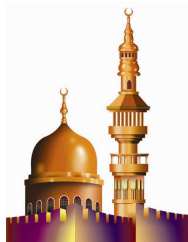
١- راقب قلبك دومًا في الإخلاص والتجرد، ولا تتكلم
عن أعمالك الصالحة إلا لضرورة أو مصلحة .

٢- شارك في رحلة سيرة مع بعض الرفاق، يُتدارس فيها
غزوة ذات الرقاع.

٣- اعقد مدارس قرآنية حول سورة الكهف، تلك التي
كان قام بها عبادٌ ليلة حراسته للعسكر .

٤ - تفقد إخوانك، وشارك في إصلاح معيشتهم، ولو

بالدعاء لهم بظهور الغيب.



نصران وفتتان في هذه الغزوة، أما النصر الأول

فكان على ذلك النصر العسكري على حقه

المسلمون على قبيلة بني المصطلق تلك التي تعاونت مع

قريش في حربها على المسلمين يوم أحد، ومن ثم تأتي هذه

الغزوة في إطار الغزوات والسرايا التأديبية التي أطلقها النبي

- ﷺ - بعد معركة أحد .



غزوة بني

المصطلق (المريسيع)

أما النصر الثاني، هو إسلام تلك القبيلة، بعد أن أطلق

المسلمون سراح أسرى بني المصطلق، إذ لما تزوج النبي - ﷺ - من جويرية بنت الحارث

بن ضرار زعيم بني المصطلق، أطلق المسلمون من في أيديهم وقالوا : أصهار رسول الله

! فكان لهذا الموقف الجماعي أثر نفسي كبير على بني المصطلق أدى لدخولهم في

الإسلام.

أما الفتتان؛ فالأولى؛ تلك الملاحاة التي حدثت بين بعض المهاجرين وبعض

الأنصار، وقول المنافقين على إثرها : "لَا تَنْتَهِيْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا

الْأَذَلَّ".

والثانية، فتنة الإفك، حيث خاض المنافقون - لعنهم الله - في عرض رسول الله،

واتهموا عائشة أم المؤمنين بالزنى مع صحابي جليل .

هذا هو الموجز، وهاكم التفصيل ...

....

هزيمة بني المصطلق

وصلت المعلومات إلى النبي - ﷺ - تفيد أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق

يجمع العدة والعتاد لغزو المدينة، إذ لم يكتفوا بتلك المشاركة الآثمة مع قريش في معركة

أحد، ويبدو أن نتائج أحد قد أغرت هؤلاء لخوض حرب جديدة .

ولكن النبي - ﷺ - باغتهم قبل أن يباغته، ونزل بساحتهم قبل أن ينزلوا بساحته،

فخرج في شعبان من العام الخامس للهجرة - على خلاف مشهور بين العلماء في تاريخ

فتنة جهجاه وسان :

فَبَيْنَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَاءِ الْمَرِيسِيِّ، وَرَدَّتْ وَارِدَةُ النَّاسِ وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَحِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، يُقَالُ لَهُ جَهْجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ فَازْدَحَمَ جَهْجَاهُ وَسَانَ بْنُ وَبَرَ الْجُهَنِيِّ الْخَزْرَجِي، فَافْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهْجَاهُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، وَقَالَ قَوْلُهُ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ لَكُنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَخَرَجْنَا الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، أَخَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ. فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فَمَشَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ عَدُوِّهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: مَرُّهُ بِعَبَادِ بْنِ بَشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "فَكَيْفَ يَا عُمَرُ، إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، لَا، وَلَكِنْ أَدْنِ بِالرَّحِيلِ"، وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَرْتَحِلُ فِيهَا، فَارْتَحَلَ النَّاسُ. [ابن هشام ٢ / ٢٩١]

وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، قَدْ بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا قُلْتُ مَا قَالَ، وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ.. وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا -، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَسَى أَنْ يَكُونُ الْعُلَامُ قَدْ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ، وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرَّجُلُ - حَدَّثَنَا عَلَى ابْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، وَدَفَعًا عَنْهُ [ابن هشام ٢ / ٢٩١].

وَمَا التَقَى النَّبِيُّ - ﷺ - بِأَسِيدِ بْنِ حَضِيرٍ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ؟" قَالَ: "وَأَيُّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" قَالَ: "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي؛" قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: "زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لَخَرَجْنَا الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ"، قَالَ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ تُخْرِجُهُ مِنْهَا إِنْ شِئْتَ. هُوَ وَاللَّهُ الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ! ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَرَفَقَ بِهِ فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِكَ، وَإِنَّ قَوْمَهُ لَيَنْظُمُونَ لَهُ الْخَرَزَ لِيَتَوَجَّهُوا، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قَدْ اسْتَلَكْتَهُ مَلَكًا. [ابن هشام ٢ / ٢٩١].

ثُمَّ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَى، وَلَيْلَتُهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ، وَصَدَرَ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى آدَتَهُمُ الشَّمْسُ، ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ فَوْقَهُمْ نِيَامًا، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي [ابن هشام ٢ / ٢٩١].

وجاء عبدُ الله بن عبد الله بن أبي إلى النبي - ﷺ - ، فقال : يا رَسُولَ الله ! إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فِيمَا بَلَغَكَ عَنْهُ ، فَإِنْ كُنْتُ لَا بُدَّ فَاعِلًا ؛ فَمُرْنِي بِهِ فَأَنَا أَجْمَلُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ الْخَرْجَ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبْرَ بَوَالِدِهِ مِنِّي ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَمْشِي فِي النَّاسِ فَأَقْتُلُهُ فَأَقْتُلُ مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ فَأَدْخُلُ النَّارَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " بَلْ نَرْفُقُ بِهِ ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ ، مَا بَقِيَ مَعَنَا " . [ابن هشام ٢ / ٢٩١] .

وَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَحْدَثَ الْحَدَّثَ ، كَانَ قَوْمُهُ هُمُ الَّذِينَ يَعَاتِبُونَهُ ، وَيَأْخُذُونَهُ ، وَيُعَنِّفُونَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ : " كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتُ لِي أُقْتُلُهُ ، لَأُرْعِدْتَ لَهُ أَنْفٌ لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ " ؛ قَالَ عُمَرُ : قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لَأُمُرُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَعْظَمُ بَرَكَهً مِنْ أَمْرِي [ابن هشام ٢ / ٢٩٢] .

وهي قصة تظهر لك حكمة منقطعة النظر، بعد نظر، وصبر . فبحكمته - ﷺ - - جنى تعاطف عشيرة ابن أبي، وفي بعد نظره رأيت ما قال عمر، وفي صبره رأيت كيف سكت حتى تكلم القرآن ففضح عدو الله ابن أبي .

فتنة الإفك :

ونتركُ أُمنا الطاهرة عائشة - رضي الله عنها - تقصُ القصة - والحديث في صحيح البخاري - فتقول :

١- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَعَهُ .. فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا [هي هذه الغزوة] فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي ، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي ، وَأُنْزَلَ فِيهِ ، فَمَرْنَا ..

٢- حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ غَزْوَتِهِ تَلَّكَ ، وَفَقَلَ ، دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ ؛ أَدْنَى لَيْلَةٍ بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ - حِينَ أَدْنُوا بِالرَّحِيلِ - فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ ؛ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي ، أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي ، فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ (جَزَعِ ظَفَارٍ) قَدْ

٤- فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيئُنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَيَسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: "كَيْفَ تَيْكُم" (١)، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَذَلِكَ يَرِيئُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ

(١) يُبَيَّن: - بضم التحتانية وتشديد الموحدة - أي: لم يكثر عليهن اللحم، يقال: هَبْلَه اللحم إذا كثر عليه وركب بعضه بعضاً. [محمد بن محمد العواجي: مرويات الإمام الزهري في المغازي، (١ / ٤٥٥)].

(٢) العُلُقَة: - بضم المهملة وسكون اللام - من الطعام: أي البلغة منه / النهاية ٣ / ٢٨٩، والنووي على مسلم ١٧ / ١٠٤. [محمد بن محمد العواجي: مرويات الإمام الزهري في المغازي، (١ / ٤٥٥)].

(٣) أي قصده.

(٤) أى: قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٥) أى سترته، والتخمير: التغطية.

(٦) تيكم: - بالثناة المكسورة - وهي للمؤنث مثل ذاكم للمذكر، الفتح ٨ / ٤٦٥، قال الحافظ: واستدلت عائشة بهذه الحالة على أنها استشعرت منه بعض جفاء ولكنهما لم تكن تدري السبب لم يتبالغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته. الفتح ٨ / ٤٦٥. [محمد بن محمد العواجي: مرويات الإمام الزهري في المغازي، (١) /

حِينَ نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمُنَاصِعِ وَكَانَ مُتَبَرِّزَنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ^(١) قَرِيبًا مِنْ يَبُوتَا ... فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ (وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُحْمٍ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرٍ بِنْتُ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُنَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ) فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطَهِهَا^(٢)، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ: لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتُ، أَتُسَبِّحُ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ: أَيْ هَتَاهُ! وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: مَا قَالَ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي..

٥- فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: "كَيْفَ تَيْكُم"، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذُنِي أَنْ آتِيَ أَبُويَّ، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقُلْتُ: لَأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ هُوَ يَ عَلَيْكَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِئَتْهُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا! فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقَ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي..

٦- وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ هُمْ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصُدِّقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بَرِيرَةَ فَقَالَ: أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ غَيْرَ أَنَّهُمَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ!

٧- فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَوْسِيُّ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ

(١) الكنف: - بضم تين - جمع كنيف وهو الساتر، والمراد به هنا المكان المتخذ لقضاء الحاجة، الفتح ٨/

٤٦٥. [محمد بن محمد العواجي: مرويات الإمام الزهري في المغازي، (١ / ٤٥٧)]

(٢) المرط: كساء من صوف

وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨] ، ثُمَّ تَحَوَّلَتْ ، وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي ..

٩- وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِرَأْيِي ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحِيًّا يَتْلَى ، لَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرَّ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا فَوَاللَّهِ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مَجْلِسُهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ مِثْلَ الْجُهْنَانِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثَقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ ، فَسَرَّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ يَصْحَكُ فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ يَا عَائِشَةُ : أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأكَ ! فَقَالَتْ لِي أُمِّي : قُومِي إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ فَإِنِّي لَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ [النور: ١١]

الْعَشْرَ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي ..

١٠- قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ : وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا .

١١- " وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي ، فَقَالَ لَزَيْنَبَ : " مَاذَا عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتِ " ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبَرِي سَيِّمَعِي وَبَصَرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا ! قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تَسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ - فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ ، وَطَفِقَتْ أَخْتُهَا حَمْنَةُ تَحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ " [البخاري : برقم ٣٨٢٦] ..

❦ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَعْذُرُ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ بِرَأْسِهَا:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
عَقِيلَةٌ حَيٍّ مِنْ لُؤْيَى بْنِ غَالِبٍ ... كِرَامِ الْمُسَاعِيِ مُجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهِدَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ حِيَمَهَا ... وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ رَعِمْتُمْ ... فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَى أَنَامِلِي
وَكَيفَ وَوُدِّي مَا حَيِّتُ وَنُصْرَتِي ... لِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنُ الْمُحَافِلِ
لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ... تَقَاصَرَ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَايِطٍ ... وَلَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِي مَاحِلِ

✍ دروس من القصص :

لقد علا قدر أم المؤمنين بعد هذه المحنة، فنزلت فيها آيات من لدن رب العالمين، براءةً وشهادةً وتكريماً لأم المؤمنين، تتلى آناء الليل وآناء النهار إلى قيام الساعة.

وَكُونُ الْقُرْآنِ يَنْزِلُ مِنْهُ شَيْئًا فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ هُوَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ وَصَرِيحٌ عَلَى خَطْوَةِ التَّعَرُّضِ لِأَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]، فلا عذر بعد ذلك لمن وقع في عائشة - رضي الله عنه -، إلى قيام الساعة.

وأبانت هذه القصةُ نبوة النبي - ﷺ - وبشريته في موقف واحد، وشرع على إثر هذه الحادثة حد القذف، ونزلت توصيات عزيزة في أهمية الحرص على سمعة المسلمين ووجوب محاربة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، والحث على النفقة على الأقارب وإن أساءوا، وهذا كله من بركات أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنه -.

أَفَلَيْعَلَمَ الَّذِينَ يَحْبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ؛ أَنْ اللَّهَ فَاضَحَهُمْ، وَأَنْ اللَّهَ لَا عَنَهُمْ، وَلَهُمُ الدَّمَارُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ !

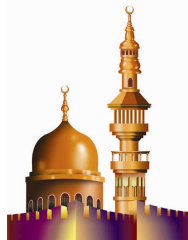
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]

ألا فليعلم المسلمون أن في أعناقهم أمانة نحو المسلمات، ألا وهي حماية أعراضهن، وإعفافهن، وأداء حقوقهن !

١- مدراسة سورة النور

٢- مدراسة ترجمة السيدة عائشة رضي الله عنها

٣- راقب لسانك ما دام فيك، فلا تذكر مسلماً بما يكره



✍ "أحجار على رقعة الشطرنج"

بعد معركة بني النضير [٤ هـ] - التي أجلى فيها المسلمون يهود النضير إلى خارج المدينة، بعدما خانوا، وعزموا على اغتيال النبي - ﷺ - تحرك وفد يهودي يجوب الجزيرة العربية لتجهيز أكبر جيش عربي لاستئصال الإسلام والمسلمين وقتل الرسول واحتلال المدينة ونهب خيراتها.

ونجح اليهود في إعداد هذا التحالف العربي الذي دخلت

غزوة الخندق

(الأحزاب)

تقوالب ٥٥-

فبراير ٦٢٧ م

تحركات اليهود

واستعدادات المسلمين

فيه أهم قبائل العرب ..

وقد كان على رأس هذا الوفد اليهودي نخبة من من زعماء اليهود ممن يحقدون

على المسلمين حتى النخاع، وكان منهم :

١- سَلامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النَّضْرِيِّ

٢- حُيَيِّ بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ

٣- كِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النَّضْرِيِّ

٤- هُوَذَةُ بْنُ قَيْسِ الْوَائِلِيِّ

٥- أَبُو عَمَّارِ الْوَائِلِيِّ.

٦- وَسَلامُ بْنُ مِشْكَمٍ [ابن القيم: زاد المعاد - ٣ / ٢٤٠]

وانضمت إلى هذا التحالف اليهودي الوثني أهم قبائل العرب : قريش وغطفان، و

فزارة ومرة، وأشجع واتجهت جيوش الأحزاب نحو المدينة ..

وهكذا كان اليهود وراء تحالف الأحزاب، فجابوا وساحوا في الجزيرة، وانصاعت

لنفثهم القبائل، فكانت قبائل العرب أحجاراً على رقعة الشطرنج اليهودية .

✍ اليهود يدعمون العقائد الوثنية؛

وتروي كتب السير، قصة خروج اليهود إلى مكة لدعوة قريش إلى حرب رسول الله - ﷺ -

، وهي عجيبة من عجائب الدهر؛ أن يتصعلك أهل كتاب عند أهل وثنٍ، وأن يتحجب

أتباع دين سماوي إلى أصحاب دين وثني، وأن يستعين اليهود بالوثنية لضرب الإسلام .

وهو الرد المعهود من القيادة الإسلامية التي شرعت في تكريم أصحاب الابتكارات وأصحاب الاختراعات .

لقد نال سلمان هذه المرتبة الشرفية، واستحق هذا الوسام النبوي الرفيع؛ لأنه أعمل عقله في خدمة الإسلام، واخترع وابتكر، وأبدع ما ينفع المسلمين، وفكر، وفكر، وفكر، ولم ينخدل ولم يتضعض، فكان من زمرة آل البيت - رحمهم الله - .

وانظر .. كيف تهيج العقول وتستوي على سوقها، فتنج وتبدع في جو الشورى، وبيئة الحوار بين الراعي والرعية، وثربة التفاهم بين القائد وجنده !

هذه هي سمة البيئة الشورية في المجتمعات؛ بيئة جاذبة للعقول، تحتضن أصحاب المواهب والأفكار . وليست بيئة طاردة للعقول قاتلة للفهوم .

﴿ أيها المسؤول .. ابدأ بنفسك ! ﴾

فلما أصدر النبي - ﷺ - قراره بضرب الخندق على المدينة، عمل فيه - ﷺ - بنفسه - مشاركة، و ترغيباً للمسلمين في الأجر، وتحميساً لهم، وتواضعاً منه - ﷺ - فلا يليق بالقائد المسلم أن يجلس في رغد وهو على الفراش اللين الدافئ من خلف جنوده الذين يتضاغون جوعاً ويرتعدون من البرد شمال المدينة حيث أعمال الحفر ..

وفي ذلك، الدرس الأوفى؛ لأصحاب المسؤوليات في العمل الجماعي الدعوي؛ أن يتقوا الله في أنفسهم وإخوانهم والدعوة، فتجد أحدهم يلقي على إخوانه التكاليف الثقيل؛ وليس له من الأمر إلا القعود وقيل وقال. أو تراه يتكلف ويتعمّل، ويتصنع المشاركة ثم يستل من بينهم، تاركاً الجمل بما حمل، ولا حياء ولا خفر، وبعد العمل تراه قد خرج من جحره؛ ليلقي نظرياته في العمل وينظر نظير العلماء، ويعقب تعقيب الحكماء، عما كان وعما ينبغي، وهو الخطيب المصقع والمتحدث المفلق، لكن دون مشاركة جادة ومعاونة فاعلة.

﴿ فقه الاستئذان ﴾

وَعَمِلَ الْأَبْطَالُ فِي أَعْمَالِ حُفْرِ الْخَنْدَقِ؛ فَذَابَ فِيهِ الْقَائِدَ وَذَابُوا . وَأَبْطَأَ عَنِ الْمَجَاهِدِينَ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ رِجَالٌ مِنَ الْمُتَأَفِّقِينَ، وَجَعَلُوا يُورَرُونَ بِالضَّعِيفِ مِنَ الْعَمَلِ، وَيَتَسَلَّلُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ - هرباً من أعمال الحفر - بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

إن شعارات العمل الإسلامي مهمة، تحتاج دومًا إلى تجديد وتفعيل وهمة. وشرح مغزاها للناس، وتبيين علاقتها بأهداف العمل، وتأكيد أخلاقيتها فلا سب فيها ولا شتم .

✓ الصبر على الشظف

الصبر على قلة الزاد، من الآداب الهامة التي ينبغي أن يتربى عليها جند الله، ليكون الصبر وقودًا لهم في ساح القتال، تلك الساعات التي يكابد فيها الجند الحر والعطش، والجوع والشظف..

ولقد ضرب الصحابة أروع المثل في الصبر على قلة الزاد، " فكانوا يُؤْتَوْنَ بِمِلءِ كَفِّي مِنَ الشَّعِيرِ فَيُضْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سِنْخَةٍ تُوَضَّعُ بَيْنَ يَدَيْ الْقَوْمِ، وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ، وَهِيَ بَشْعَةٌ فِي الْحُلُقِ وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ !!!" [البخاري : (٣٧٩١)]

قال جابر - مشيرًا إلى أيام الخندق - : " وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا" [البخاري : (٣٧٩٢)].

وقال واصفًا حال قائدهم - ﷺ -

"لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ - ﷺ - حَمَصًا شَدِيدًا" [البخاري : (٣٧٩٣)]

ولقد بلغ منه - ﷺ - الجوع مبلغًا عظيمًا، يوم الخندق، حتى ربط على بطنه ليقاوم الجوع، قال أبو طلحة: "شكونا إلى رسول الله - ﷺ - الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله - ﷺ - عن حجرين" [الترمذي : (٢٣٧١)]!

البطن مهلكة المسرفين، ومدرسة المقلين.

فلا تكن - أخي - أسير الجوع، صريع الشبع .

فربما صوم يوم أعانك على جوع يوم، فالجوع رغبة منك، دربة على الجوع رغما عنك .

ورب دولة صائمة وقاها الله لباس الجوع، فأحرى بشعب قضيته الكبرى الأكل والشرب أن يتوب وأن يصوم .

وليس تاريخ محمد - ﷺ - إلا تاريخ شدائد ومحن، ومجاهدة في هداية البشر، ومراغمة لكيان الفساد . فهو يجاهد رغم جوعه، ويعمل رغم جوعه، ويدعو رغم جوعه .

هكذا كانت الحلقة الأولى في غزوة الأحزاب ..

١- أبانت تلك الحلقة كيف يخطط اليهود للإيقاع بالأمة الإسلامية، وحقيق أنهم أشد الناس عداوة للمسلمين، وشعارهم دومًا " ليس علينا في الأميين سبيل "، فهم يسعون دومًا أن يجعلوا من الكرة الأرضية رقعة شطرنج هم محركو أحجارها، ولو بالتحالف مع عبّاد الأوثان . فأوصيك - أخي - ببغض اليهود .

٢- وأنت قد رأيت - أخي القارىء - كيف كانت البيئة الإبداعية التي كان الصحابة يجربون فيها في ظلال دولة الشورى، وكيف كان الإبداع متساوياً مع الحرية، وكيف كان النظام الإسلامي يدعم أصحاب المواهب ويشجع المبتكرين . فأوصيك - أخي - بصناعة البيئة الشورية الإبداعية في بنيان العمل الجماعي . لتقر الأعين بعباقره ونوابغ في خدمة الإسلام .

٣- وعلمت، كيف أن القائم على ثغر من ثغور الإسلام؛ لا ينام عن إخوانه، ولا يتهرب من مهامه، ولا يكتنُّ في كسر بيته وإخوانه يكابدون قيظ الحرِّ. وما أقبح التخلف والإهمال في أبناء الصحوة الإسلامية ! أَحَسِبَ هؤلاء أنهم كعامة الناس ؟ فلطخة في الثوب الأبيض ليست كلطخة في الثوب الأسود! فعليك - أخي - بغرس قيمة المشاركة وقيمة الإستئذان.

٤- وعلمت أهمية فنون الأدب في معركتنا مع العدو، فكم من قصيدة أحييت الجهاد في قلوب موات، وكم من أنشودة شدا بها المجاهدون حتى بلغوا بها المعالي، فعليك بأشعار الشجاعة عند المتنبي، وديوان الحماسة لأبي تمام، وقصائد الزهد لأبي العتاهية وغيرها من الأدب القديم، إضافة إلى الكتابات الأدبية الجهادية ما مضى منها وما استجد.

٥- وعلمت كيف كان حال الصحابة من شظف وجوع، فلا خشيشان سمة من سمات المجاهدين، والمترفون لا يقيمون حضارة، ولا تقوى أياديهم الناعمة على حمل السلاح، فهيا.. نغرس التربية الجهادية في نفوسنا وفي نفوس ذرينا.

توصیة عملیة

حضور دورة تدريبية عن العمل الجماعي